إمتداد وحدود القوة الإيرانية : المخاطر والتهديدات الواقعية

مجموعة من الباحثين / مؤسسة راند للدراسات

موجز

إن بروز قوة وطموحات إيران الإقليمية هي من بين أشد التحديات السياسية الخارجية التي تواجه الولايات المتحدة إلحاحاً. وقد أشار مراقبون أميركيون للجمهورية الإسلامية منبهين، بصرف النظر عن قناعاتهم السياسية، الى إصرار وحزم البلاد الجديد على ساحة الشرق الأوسط، تطوير وبناء قدراته العسكرية التقليدية، وإندفاعه المتصلب للحصول على الطاقة النووية في تحدِ للإنتقاد الدولي. إن التحديات التي تعرضها الجمهورية الإسلامية تعتبر حادة، خاصة من منظور سلاح الجو الأميركي (USAF). فسلاح الجو سيكون على الأرجح الوسيلة العسكرية "للجوء الأول" لنشر القوة الأميركية داخل المناطق غير المستقرة المجاورة لإيران،ولطمأنة الحلفاء، وثني إيران عن القيام بهجوم أو مغامرة ما. أما في أذهان صناع السياسة الإيرانيين، فإن سلاح الجو الأميركي قد إفترض بروزاً من هذا النوع للقوة الإيرانية. فالتخوف الإيراني من التطويق و الخنق من قبل الولايات المتحدة ناشئ، بمقدار كبير منه، عن قرب مكان وجود سلاح الجو الأميركي في دول مجاورة لها. وكما توضح ذلك بتفجير برجي الخُبَر في العام 1996، فإن هذا القرب يضع أرواح وممتلكات سلاح الجو الأميركي تحت خطر حصول هجمات إرهابية لا متماثلة وفي مرمى صوريخ إيران البالستية، بشكل متزايد.

ولقياس التحديات الإستراتيجية من إيران بدقة على إمتداد أفق الـ 10 الى 15 عاماً المقبلة، سعت هذه الدراسة الى تقييم " دوافع" الجمهورية الإسلامية، وليس فقط قدراتها. هذه المقاربة، برغم صعوبة تعقيدات النظام الإسلامي المعروفة، شديدة الأهمية في تحديد موارد الحذر والبراغماتية المحتملة في صياغة سياسة إيران. وقد كشف بحثنا في التفكيرالإستراتيجي الإيراني عن أن الإيديولوجية والتظاهر بالشجاعة يخفيان تحتهما، دوماً، إيثار الإنتهازية والواقعية السياسية – الميزات التي تحدد سلوك الدولة " الطبيعي". وبشكل مشابه، وعندما عرضنا خيارات بروز القوة الإيرانية، لم نحدد فقط مدى التهديدات المعروض بكل خيار، وإنما حددنا حدودها وأرجحياتها. وفي كل حالة من الحالات، وجدنا عوائق و إعتراضات هامة وبارزة تقف في طريق إمتداد إيران الإستراتيجي وهي عوائق متجذرة في كل من الجيو-بوليتيكا الإقليمية التي تحاول إيران التأثير عليها، وفي قدرتها العسكرية التقليدية المحدودة، عزلتها الديبلوماسية، وخطواتها الإستراتيجية الخاطئة السابقة. وبشكل مشابه، فإن التأزم الحاصل بين النظام والمجتمع الإيراني - شرائح تخلصت من أوهام الأفكار الثورية المثالية للجمهورية – قد تعمل أيضاً ككابح لسلوك إيران الخارجي.

هذا الأمر يقود الى إستنتاجنا بأن التشابهات الجزئية مع الحرب الباردة هي خاطئة : فالجمهورية الإيرانية لا تسعى للتوسع الحدودي أو حتى الى فرض إيديولوجيتها الثورية بالقوة، برغم خطابها، على دول مجاورة لها. بدلاً من ذلك، تقوم بتغذية شعور النقمة والسخط بسبب الوضع القائم، تحديداً في العالم العربي. إن خيارات الإحتواء التقليدية قد تخلق في الواقع خيارات أخرى بالنسبة لطهران فتقوم بإستغلالها، مضخمة بذلك من النفوذ نفسه الذي تحاول الولايات المتحدة التلطيف منه. لذا، فإن الإستراتيجية الأكثر إفادة هي التي تستغل القيود الموجودة على قوة إيران ونفوذها. وهذه تتضمن الفجوة الموجودة بين طموحها للحصول على قدرات حرب لا متماثلة وواقع قواتها التقليدية المحدودة، الخلافات بين إيران و "بدائلها" العسكرية، وإحتمال حصول نقد حاد من قبل الرأي العام العربي، الذي سعت إيران طويلاً لإستغلاله. بالإضافة الى أننا نوصي بإتباع مقاربة أميركية جديدة مع إيران تدمج عنصري الحوار والإحتواء في الوقت الذي تخفف فيه من تصعيد الضغط الأميركي الأحادي على طهران وتطبيق ضغط " متعدد الأطراف" ضد طموحاتها النووية. إن التحليل الذي أوصل هذه الإستنتاجات قام أيضاً بتزويده بالرؤى التالية ليطلع عليها المخططون والإستراتيجيون الأميركيون والمتعلقة بثقافة إيران إستراتيجية، جيشها التقليدي، علاقاتها بمجموعات إسلامية، وقدرتها على التاثير على الرأي العام العربي.

الحزم والإصرار يحددان ثقافة إيران الإستراتيجية

إن تقيمنا لديناميكية القيادة الإيرانية، منظور التهديد، والإستراتيجية الإقليمية يكشف النقاب عن توجهات متنافسة نحو المغامرة والبراغماتية. وهذا ناشئ عن عدد من العوامل.
يبدو بأن كثيرين داخل النظام الحالي يعتبرون إيران بمثابة قوة إقليمية إجبارية لا مفر منها، لكن ليس بالضرورة قوة مهيمنة ثورية. هناك إعتقاد آخريقول بأن الجمهورية الإسلامية هي نموذج للتنوير الإسلامي في كل مكان وبأنها الدولة الإسلامية المبرِّزة في المنطقة والتي تقدم جسراً جيوبوليتيكياً بين آسيا والشرق الأوسط. ونتيجة لهذه الخاصيات المفهومة المنسوبة لها، أظهرت القيادة الإيرانية توجهاً مميزاً ليس فقط على صعيد الدفع للحصول على دور أكبر في الشؤون الإقليمية وإنما بالمبالغة، أيضا، بالجانب الإستراتيجي البارز لإيران على المسرح العالمي.
مع ذلك لا يُفهم من ذلك بأن إيران هي حالياً دولة ثورية توسعية. لقد كانت إيديولوجيتها الثورية تسم بالتأكيد خطاب مسؤوليها الرسميين. في كل الأحوال، إن سجل الأعمال الإيرانية يعرض الى أن وجهات النظر هذه يجب إعتبارها، وبشكل أكثر دقة،على أنها " مفردات لغة" السياسة الخارجية الإيرانية بدلاً من إعتبارها "محددة" لها. فالقومية، السيادة، وبقاء النظام هي المسيِّرات الأكثر جوهرية لسلوك إيران الخارجي. فعلى سبيل المثال، وحتى في العراق ذي الغالبية الشيعية، لا تسعى إيران لتصدير أهدافها الثورية، برغم حقيقة أنها تفضل في النهاية وجود حكم ديني كحصيلة نهائية. أما اليوم، فيعتبر عدد من المسؤولين في طهران الولايات المتحدة بمثابة معادية للوضع القائم، أي كقوة ثورية تسعى لإعادة تشكيل الشرق الأوسط عن طريق تصدير العلمانية، الديمقراطية، ومؤخراً جداً، الطائفية.

إن مفهوم التهديد الإيراني يجعل الهواجس الداخلية والخارجية غير واضحة ومبهمة. فالنظام لديه توجه مميز لدمج عدم الإستقرار المحلي مع التدخل الخارجي. وبرغم أن الغزو الأميركي لأفغانستان والعراق قد خلص إيران من أخطر خصومها الإقليميين، فهي لا تزال تواجه تهديدات خطيرة مع إمكانية حدوث

فوضى داخلية عارمة. فإنتشار الجريمة، السلاح، والتوترات الطائفية من العراق أنعشت الناشطين الإثنيين في محافظتي كردستان وخوزستان (على الحدود مع العراق) وحتى في محافظة بلوشستان الشرقية.هذه الهواجس شكلت تعاون إيران الثلاثي مع سوريا وتركيا حول الأكراد، تورطها في العراق، وقرارها برد اللاجئين الأفغان الى وطنهم. كما أن رجال الدين القياديين في إيران قلقون من التحدي الديني الناشئ من مدارس البحوث الدينية الشيعية في العراق. فمراكز التدريس في النجف و كربلاء لطالما هيمن عليها الخطاب الشيعي قبل أن يتم قمعها من قبل النظام البعثي في العراق؛ إنها تعاود البروز الآن مع إمكانية أن تغطي على نظيراتها في قم. أخيراً، تستمر القيادة الإيرانية بإعتبار الولايات المتحدة البلد الذي يشكل التهديد الخارجي للجمهورية الإسلامية. وهذا الأمر جعلها حساسة بشدة تجاه " التدخل" في شؤونها الداخلية من قبل الولايات المتحدة، تحديداً الترويج الأميركي للمجتمع المدني ودعم الناشطين الإثنيين. وكان أحد نتائج هذا التخوفات إتخاذ إجراءات صارمة مشددة بخصوص التبادل الأكاديمي، التحرر الإجتماعي، وحرية التعبير. وفي بعض الحالات، يقوم النظام، وبشكل مثير للسخرية، بإستغلال هذا التهديد لتقوية الدعم الشعبي المهيب للثورة.

إن إنشقاق النظام يؤثر على سلوك الدولة الخارجي. فالنظام الإيراني مطوق من جميع الجهات بالإنقسامات. إن عملية صنع القرار تتطلب إجماعاً عاماً؛ لذا، فإن عدد وتعقيدات هذه الفئات، مجتمعة مع التردد الفردي وعدم القدرة على صنع القرار، يجعل من الصعب جداً على النظام تغيير المسار أو صنع قرارات هامة. علاوة على ذلك، فإن الفئات المتنافسة تستخدم، بالعادة، قضايا السياسة الخارجية لتدمير خصومها أو التغلب عليهم بإصطناع المناورات. هذا هو الحال بالتحديد بسبب جهود الحرس الثوري لتوحيد سيطرته على المؤسسات المحلية الأساسية. كما أن الوضع الإقتصادي للبلاد الذي يزداد سوءاً والعزلة المتزايدة على خلفية المسألة النووية كانت أموراً مساعدة للمعارضين الفئويين للرئيس أحمدي نجاد. أخيراً، إن الأزمة النووية قد تكون مغذاة، على الأقل جزئياً، من جراء المناورة الداخلية والتنافس البيروقراطي. أما التاثيرالصرف لهذه الديناميكية الداخلية فهي سياسة خارجية نزوية، لا يمكن توقعها وتصعيدية بشكل متواتر.

إيران تواصل العمل بإستراتيجية إقليمية متعددة الأوجه متميزة بعناصر القوة وحدودها

كما أشرنا آنفاً، تعتبر إيران نفسها قوة وضع قائم، مؤثرة التأكيد على دور أكبر لنفسها ضمن النظام الإقليمي الموجود بدلاً من إعادة قولبة ذلك النظام وفقاً لرؤيتها الثورية. وإنتهى الأمر بسياسة ناشطة طموحة تتمفصل حول ثلاث مواضيع رئيسة: الردع والدفاع عن الوطن، دعم الجماعات الإسلامية المسلحة (لأسباب ذات رمزية وكقدرة إنتقامية)، وكسب رضا الشعوب في العالم العربي بالتملق والإطراء لمحاصرة العداء الرسمي من قبل أنظمة أخرى في المنطقة. وداخل كل مُتّجه من هذه المُتجهات هناك عوامل ساعدت القوة الإيرانية وكذلك قيدتها.

برغم طموحاتها العقائدية اللامتماثلة، فإن لإيران قوة تقليدية ضعيفة في الميدان. فالقادة الإيرانيون لطالما عزفوا على نغمة تحولهم الى إستراتيجة دفاع لا متماثلة عن الوطن، والتي تفترض من قبل الغازي أثماناً لا يمكن الإستهانة بها. ومعظم هذه الإستراتيجية تدور حول " الدفاع الموزاييكي"، الحرب الثنائية، والتحرك الشعبي من مساعدي الباسيج. في كل الأحوال، وبالإجمال، يظل الجيش الإيراني غارقاً في

مستنقع العقيدة التقليدية بسبب القصور البيروقراطي في التدبير وبسبب الإقتتال الداخلي المألوف بين الحرس الثوري والقوات التقليدية. إن معظم التجهيزات العسكرية الإيرانية فاقدة الصلاحية أوتمت صيانتها على نحو متواضع، كما أن قواتها البرية تعاني من نقص في مجالي التجهيزات والفرق. ومع طائراتها القديمة، لا يمكن مقارنة سلاح الجو الإيراني، تحديداً، بسلاح الجو الأميركي بالتأكيد.

في الوقت الذي تعتبر فيه هيكليات طهران الأمنية الممتدة وذات الطبقات مفيدة لقدرة النظام على البقاء، فإنها تكبح أداء هذه الهيكليات في ميدان المعركة وتقلل من قدرتها على الدفاع إزاء التهديدات الخارجية. وهذا الأمر منعكس في القصور الواضح في تدريبات إيران على إمتداد مساحة الوطن بين مكونات عناصر سلاح الجو، البر والبحر للحرس الثوري والقوات النظامية. وعلى رغم عنونتها بالتدريبات " المشتركة" فإنها عادة ما تتدحرج لتصل الى مستوى التدريب المؤسساتي أو تدريب قسم محدد، ما يجعلها تبدو، وبشدة، كنص مسرحي مكتوب ومصمَّم المشاهد.

إن بعض قدرات إيران اللامتماثلة تهديدية. فبسبب قواتها العسكرية التقليدية الخلفية، عقيدتها الدفاعية، تحديداً قدرتها على ردع المهاجمين، فإنها تعتمد على حرب لا متماثلة. ويؤثر الإستراتيجيون الإيرانيون جهود حرب العصابات التي توفر قدرة متفوقة على التحرك، روح معنوية للقتال، ودعماً شعبياً. (على سبيل المثال، نموذج حزب الله في لبنان) لكبح القوة التقليدية المتفوقة تكنولوجياً – تحديداً وبالإسم،الولايات المتحدة. أما على الطرف الآخر للطيف، فإن لإيران دوافع قوية ووسائلها لتطوير صواريخ باليستية متطورة وكذلك تطوير قدرات سلاح نووي. هذا الإعتماد على قدرات لا متماثلة يمكنه تهديد مصالح غربية بطرق مختلفة، تحديداً، بما يتعلق بالجبهة البحرية. إن قدرة إيران على زرع الألغام، وإمتلاكها صواريخ كروز المضادة للسفن، وتكتيكاتها الإبداعية بالحشد والتحرك كمجموعات يمكنها من إعاقة الدخول الملاحي في مضيق هرمز.

يمتلك الحرس الثوري أيضاً ترسانة من الصواريخ الباليستية القصيرة والمتوسطة المدى التي بإمكانها الوصول الى دول الخليج الفارسي الصغيرة، أفغانستان، إسرائيل، شرق تركيا، ومعظم نواحي العربية السعودية. وبرغم أن هذه الصواريخ غير دقيقة حالياً وبذلك فإن فائدتها محدودة عسكرياً، فإن التحسينات الجارية على مداها، قدرتها على حمل رؤوس غير تقليدية، وعلى دقتها سيعزز بشكل بارز وهام من قدرة إيران على تهديد مراكز كبيرة آهلة بالسكان، والبنية التحتية الإقتصادية، وكذلك القواعد العسكرية.
ليس لإيران سوى رافعة محدودة على ما يُدعى جماعات بديلة. ولتعويض تخلفها التقليدي، لطالما قدمت إيران الدعم المالي والعسكري لمروحة من المجموعات الإسلامية غير الحكومية. ووفقاً لعقيدة الحرس الثوري، فإن هذه " الإستراتيجية المحيطية" المقصود منها تقديم عمق إستراتيجي لدفاع إيران عن أرضها، وذلك بأخذ القتال الى عمق معسكر العدو. ففي حالتي حماس وحزب الله، تشتري هذه الإستراتيجية الشرعية لإيران بين الشعوب العربية الحانقين من مقاربة أنظمتهم الظاهر للوضع القائم. بالواقع، فإن طهران " عربية أكثر من العرب" حول قضايا كفلسطين.
في دعمها لجماعات مسلحة شيعية في العراق ولبنان، قد تتوقع طهران درجة من التبادلية. هذا تحديداً هو الحال عند حدوث ضربة أميركية، والتي قد تتوقع فيها إيران من هذه المجموعات العمل برباطة جأش وصرامة كعملاء إنتقاميين. مع ذلك قد يكون هذا التوقع في غير مكانه. ففي العراق، على سبيل المثال، التمويل والمساعدات العسكرية الإيرانية غير حيوية لإستمرارية بقاء الفئات السياسية الشيعية الرئيسة. علاوة على ذلك، تعتمد بعض هذه المجموعات، وبشكل مكثف، على تعزيز صورة القومية العراقية

للحصول على الدعم المحلي وبذلك فهي تفضل الحفاظ على درجة من الإنفصال عن طهران. أما في لبنان، فإن سلوك حزب الله تتخلله تساؤلات عن شرعيته المحلية؛ إذ تكبد مؤخراً الكثير من المشقة ليضع نفسه، علناً، على مسافة من راعيه الإيراني.

وبذلك، وفي حال حدوث صراع بين الولايات المتحدة وإيران، فإن إستعداد هذه المجموعات للإنتقام خدمة لطهران، بشكل محض، أمر لا يجب إفتراضه على أنه حاصل أتوماتيكياً. بدلاً من ذلك، سيزن هؤلاء، وبحذر، مكاسب أعمال كهذه مقابل المخاطر التي ستتعرض لها أجنداتهم المحلية. إن الإنقسام والإنشقاق قد يحدثان بين الفئات الموالية لإيران، المعادية لإيران والمحايدة. أما في بعض الحالات، فقد تستثمر طهران، وبنشاط، هذه الإنشقاقات، أو قد تقوم قيادة المجموعات، بشكل سري، بإجراء عقد فرعي للقيام بهجمات يقوم بها عنصر مشتق أو "مارق".

بإختصار، من الافضل تصور إيران كبلد يفرض " تأثيره" على حلفائه الشيعة، لكنه لا يفرض سيطرته.
لطالما سعت إيران لإستغلال الرأي العام العربي، بنجاح مختلط. ضع جانباً دعمها لفاعلين غير حكوميين، تعتبر طهران الرأي العام العربي أيضاً بمثابة مُتجه هام لبروز القوة. فطهران تستخدم هذه الإستراتيجية لفرض الضغط على أنظمة غير صديقة وعلى حلفائهم الغربيين. وبتوظيفها كل من إعلامها المحلي ووسائلها الإعلامية المتعددة الجنسيات (كقناة العالم الفضائية الناطقة باللغة العربية)، أبرزت إيران نفسها كمتحدِ شعبي للوضع القائم، بطل القضية الفلسطينية، راع لحزب الله، وضحية محاصرة بمعايير الغرب المزدوجة بخصوص القضية النووية. إن إيمان طهران بأن بإمكانها الإعتماد على دعم الرأي العام العربي ومحاولاتها أن تكون "عربية أكثر من العرب" إنتهى بسلوك ميال للقتال والخصام بشكل متواتر. بالواقع، إن معاداة أحمدي نجاد لإسرائيل، تحديه للضغط الأميركي بشأن البرنامج النووي، والكاريزما الشعبية قد أكسبته عبارات الثناء من الشعوب العربية. أما جاذبية إيران في المنطقة فقد بلغت أوجها عقب حرب حزب الله مع إسرائيل صيف 2006 .

في كل الأحوال، إن تحليلنا لوسائل الإعلام الأساسية ولإستطلاعات الرأي الخارجي تكشف عن أن الدعم العربي الشعبي لإيران لا يزال مورداً إستراتيجياً متقلباً. ففي حالات عدة، يمكن للرأي العام العربي أن يتأرجح بسرعة من المديح الى الإدانة بناء على الأحداث التي تتخطى سيطرة إيران أو بسبب خطواتها الإستراتيجية الخاطئة. أما التوترات الطائفية المتنامية في العراق ومفهوم الصعود السياسي الشيعي في المنطقة فكانت دافعاً للذعر بشأن إيران على إمتداد العالم العربي، تحديداً بعد إعدام صدام حسين. فالحكومات العربية، بالتحديد، قلقة بشأن قدرة إيران على محاصرة القنوات الديبلوماسية الرسمية وإجتذاب العرب العاديين مباشرة، مهددة بذلك مشروعيتهم. ومن بين دول الخليج الفارسي، تتخوف الحكومتان السعودية والبحرينية من محاولات إيران تحريك السكان الشيعة الموجودين داخل حدودهما، تحديداً في حال حدوث ضربة أميركية. مع ذلك فإن بحثك الخاص حول هذه القضية يكشف عن أن هذه الهواجس مبالغ بها: فمعظم الجماعات الشيعية عملت بسلام ضمن النظام لأجل التغيير السياسي وترفض إيران كراع سياسي.
إن الرأي العام العربي حول إيران غالباً ما يفصل بين الشعوب وأنظمتهم. فالأنظمة العربية تتخوف من طموحات إيران النووية لكنها على دراية تامة بأن برنامجها النووي مؤيد، الى حد كبير، من قبل الشعوب العربية كإنتقاد لمعايير الغرب المزدوجة وتدخله. وبالنتيجة، فإن هذه الأنظمة متحفظة بشأن

الظهور معادية جداً لإمكانية وجود قنبلة نووية إيرانية خشية أن تعتبر شعوبهم هذا الأمر بمثابة دعم ضمني لضربة أميركية. وبالنتيجة، يستغل بعض المسؤولين العرب مخاوف العرب السنة من الصعود الشيعي والنزاع الطائفي في وسائلهم الإعلامية لكسب الرضا بما يتعلق، أساساً، بإستراتيجية توازن القوى الكلاسيكي ضد إيران. أما بخصوص هجوم أميركي ضد إيران، فإن الرأي العام الرسمي والشعبي معارض الى حد كبير، معبراً عن هاجس عميق بشأن خيارات الثأر الإيرانية والحماية الأميركية غير الكافية. إن وجهات النظر المتناقضة والمتشعبة هذه تعرض لموضوع الحذر بالنسبة لصناع السياسة الأميركيين الذين سيأخذون العداء العربي تجاه إيران على أنه دعم واقعي لهجوم أميركي أو جهود أميركية لإحتواء إيران من خلال كتلة على نموذج الحرب الباردة مؤلفة من دول سنية.

التوصيات: نحو نموذج سياسي أميركي جديد

على مدى السنوات، حاولت الولايات المتحدة القيام بمروحة من المقاربات الإنكباب على التحدي الإيراني. وحتى تاريخه، لم ينجح أحد في جعل إيران أقل تهديداً للمصالح الأميركية أو أكثر إذعاناً لقرارات مجلس الأمن الدولي. إن السياسة القائمة المتعلقة بخلق نظام إحتواء على شاكلة الحرب الباردة ضد إيران لم يأخذ في حسابه السمات الجيو- بوليتيكية الإقليمية والثقافة الإستراتيجية الإيرانية التي تمت مناقشتها في هذا التقرير. وبرغم كونها أكثر جاذبية، فإن السياسات المعتمدة فقط على الحوار الثنائي و / أو الآمال بنوع ما من المساومة الكبرى أمران غير واقعيين وبالتساوي. كما أن الجهود المبذولة لإثارة شغب داخلي ووضع فئة مقابل أخرى داخل إيران من الأرجح أن تأتي بعكس النتائج المرجوة أيضاً بسبب الفهم الأميركي المحدود للمشهد السياسي المعقد لإيران ولقدرة النظام على التلاعب بتدخل من هذا النوع لصالحه.

وبسبب هذا القصور، فإنا نقترح مقاربة مختلفة تحوي سلسلة من إجراءات عدم التصعيد الأحادي من قبل واشنطن ومن الجهود المتعددة الأطراف الضاغطة والمستمرة المستهدفة للسلوك الإيراني التي تعتبر شاذة بالمفاهيم الدولية (مثلاً، القضية النووية وإرتباطاتها بالإرهاب). فبدلاً من إستراتيجية إحتواء واسعة مبنية على أساس أميركي، فإننا نقترح ضغطاً دولياً رافعاً في الوقت الذي يتم فيه التقليل من التصعيد السياسي والكلامي الأميركي تجاه إيران (وبشكل أساسي، عكس أدوار الشرطي الجيد / الشرطي السيئ). إن المحافظة على مكونات الضغط لهذه المقاربة المتعددة الأطراف (بما في ذلك الدعم من روسيا والصين) أمر حاسم لأنه يساعد على حرمان القيادة الإيرانية من القدرة على تحريف الإنتقاد المحلي بالتركيز على النقمة والسخط فقط على الولايات المتحدة وبريطانيا أو قوى أخرى في الإتحاد الأوروبي. في نفس الوقت، على الولايات المتحدة تجنب الأعمال الأحادية التي قد تصعِّد الصراع مع إيران، حيث من غير المرجح أن تؤدي هذه الأعمال غرضها كما من الأرجح أن تفاقم التوترات الموجودة بشكل هام. وبرغم أنها ليست الدواء الشافي لكل العلل، فإن الضغط المتعدد الأطراف – عندما يجتمع مع خطاب وسياسة أميركية أقل عدائية – قد يثبت فعالية أكبر من السياسات السابقة، على الأقل بما يتعلق بالأهداف الأكثر محدودية بخصوص طموحات إيران النووية. وهذا يجعلنا نقول بأن أرجحية الدعم الثابت لهذه المقاربة من قبل روسيا والصين تظل موضع تساؤل. فالمكونات المحددة لهذه المقاربة هي كما يلي:

- **الإستمرار بتعزيز العقوبات الدولية وضغوطات أخرى تستهدف القضية النووية، لكن تجنب إجراءات عقابية أحادية التي من غير المرجح أن تنتج دعماً واسعاً.** فالعقوبات الثانوية غير مثمرة تحديداً في المحافظة على الدعم الأوروبي والدولي للعقوبات ذات الصلة بالقضية النووية في الأمم المتحدة.

- **مواصلة الحوارات الثنائية المتصلة بمجالات المصلحة المشتركة، كعدم الإستقرار في العراق وأفغانستان، تهريب المخدرات، الإغاثة من الكوارث الطبيعية، اللاجئين، وأزمات إنسانية أخرى.** على الولايات المتحدة تحديد وإستغلال المجالات حيث التعاون الحقيقي يمكن أن يكون مثمراً ومفيدا، من دون إضمار التوقعات بحصول إختراقات ديبلوماسية أوسع. هذه الجهود الأكثر محدودية لا يجب التقليل من شأنها وجعلها تافهة بالدعاية المضللة والمبالغ بشأنها. فأخبار الأعمال الجيدة تنتشر لوحدها. وهذا لنقول بأن على الولايات المتحدة أن تلطف من أية توقعات لها بأن يؤدي أي حوار الى إحداث نتائج مثيرة. في كل الأحوال إن جهود حوار محدود حتى قد يحسن من فرص حصول حوار أوسع كما أن عملية التطبيع تحدث ما أن تتحسن الشروط السياسية.

- **قضية التصريحات غير الملتبسة حول المصالح الأميركية والنوايا في المنطقة، تحديداً بما يخص العراق.** يجب أن تكون هذه التصريحات بسيطة وسهلة الفهم، كما على الولايات المتحدة الإلتزام بها لوقت كاف حتى يتم أخذها بجدية. إذ على الولايات المتحدة أن تعزز مكانة " إتفاقية القوى" مع العراق بالتصريح، بوضوح، بأن ليس لها مصلحة طويلة الأمد في إحتلال العراق أو في ترسيخ وجود عسكري دائم لها هناك. وفي نفس الوقت للولايات المتحدة الحق بالمحافظة على وجود عسكري لها في المنطقة وإستخدام القوة لحماية مصالحها ومصالح حلفائها ضد تهديدات من قبل فاعلين حكوميين أو غير حكوميين. هذه التصريحات ستحدد الوضعيات العسكرية الأميركية التي لغايات دفاعية ولضمان الإستقرار، وليس لتطوير قواعد أميركية لإطلاق هجمات على دول جوار إقليمية (ما يعني، إيران).

- **الإنخراط بجهود بناء إطار عمل أمني إقليمي متعدد الأطراف متضمناً إيران والحساسة تجاه حاجات أصدقاء الولايات المتحدة من العرب وحلفائها.** تتذكر الدول العربية العلاقات الأميركية-الإيرانية الوثيقة بإفراط خلال الحقبة البهلوية وبذلك فهي ستكون، في أفضل الأحوال، متناقضة بشأن علاقات أوثق بين طهران وواشنطن. مع ذلك، وبرغم هذه الصعوبات، فإن الولايات المتحدة بحاجة لمواصلة العمل، وبشكل هجومي، وصولاً الى إطار عمل أمني إقليمي متعدد الأطراف على أساس واسع يتضمن إيران الى جانب حلفاء واشنطن العرب التقليديين، وكذلك لاعبين دوليين أساسيين كالإتحاد الأوروبي، روسيا، والصين. إن هيكلية من هذا النوع لن تكون مبنية على أساس تهديد محدد (كمنظمة الأمن المشترك مثل الناتو) وإنما ستوفر منتدى أمني مفتوح حيث بإمكان الدول الإقليمية مناقشة سلسلة من التحديات الإقليمية والإنكباب عليها (بدءاً من قضايا أكثر إجماعاً كتهريب المخدرات، التجاوب مع الكوارث الطبيعية، الأمن الملاحي، والتطور في مجالي الإقتصاد الطاقة) والدخول في إجراءات بناء الثقة العسكرية. إن نموذج منتدى كهذا يمكن أن يكون منظمة أمن تعاوني كمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، حيث إعتبارات التهديد المتبادلة مبثوثة على الهواء كما أن هناك عمل متواصل على إجراءات حل الصراع.

وبرغم أن هيكلية أمنية متعددة الأطراف وشاملة في منطقة الخليج الفارسي ستستلزم وقتاً لبنائها، فإنها ستساهم أكثر في إستقرار المنطقة على المدى الطويل بدلاً من الإستمرار بالإعتماد المحض على إستراتيجيات توازن القوى التنافسية المصمَّمة لعزل إيران. إذ من الأرجح أن تشجع إستراتيجيات ضيقة الأفق من هذا النوع، على الهيمنة الإيرانية، وجعلها ملموسة حتى، بدلاً من إزالتها. علاوة على ذلك، من غير المرجح أن تكون مسألة إحتواء إيران بقيادة الولايات المتحدة قابلة للإستمرار وسط دول الخليج الفارسي التي ترغب بالحفاظ على علاقات حارة وودية مع إيران، إن لم يكن على إلتزام سياسي و إقتصادي فعال ونشيط.

.RESERCH SERVICES GROUP
www.ipileb.com